ا مد لله ربِّ العالمين، فتح أبواب قربه ورضاه، وجعل لنا أوقاتاً يستجيب فيها الدعاء، ويُحقِق الرجاء، ويُنّزل فيها لعباده الصا ين الأرزاق الوفيرة والسخاء والرخاء، ويجعلهم فيها لهم نصيبٌ من السعادة الأزلية التي كتبها للأتقياء، قال صلى الله عليه وسلَّم: (إن لربكم في أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها فعسى أن تصيبكم نفحةٌ لن تشقوا بعدها أبداً)[1].

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، خيره لا يُحدّ، ورزقه لا يُعدّ، أحصى كل شيءٍ وقدَّره تقديراً، وتعالى في كبريائه وتناهى في سمائه عن القدْر والأقدار، وهو كما قال في شأن نفسه: (الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يوُلد. ولم يكن له كُفُواً أحد) (سورة الإخلاص).

وأشهد أن سيدنا محمَّداً عبدُ الله ورسولُه، القدوة الطيبة للصادقين من المؤمنين، والأُسوة ا سنة لمن يرجُو الفلاح والفوز من الله يوم الدين، والأنموزج الطيب لمن يريد أن يكون في عيشة طيبة رضيّةٍ في الدنيا وأن يكون مثواه في الآخرة مع المتقين.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمَّد وآله الأطهار، وصحابته الأخيار، وكل من تبعهم على هذا الهدي الكريم إلى يوم القرار، وعلينا معهم بمنِّك وفضلك وجودك يا عزيز يا غفار.

أيها الأحبة جماعة المؤمنين:

نحن بحمد الله في هذه الأيام؛ أيام النفحات، نفحات الخيرات والبركات، فقد كنا في أيام الإسراء والمعراج، التي أكرمنا الله عزَّ وجلَّ وأهدى لنا فيها هدية الصلاة، تصلنا بالله، وترفع عنا كلَّ همّ، وتُبدِّد عنا كل غمّ، وتُفرِّج عنا كل كرب، فمن حافظ على

[1] أخرج أبو نعيم فى ا لمية والبيهقى فى شعب الإيمان وابن عساكر عن أنس ﷺ.

الصلاة كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة.

ونستهل في هذا اليوم المبارك هلال شهر شعبان، وهو شهرٌ كانت له عناية خاصَّة عند النبي العدنان وأصحابه الكرام، فقد كان النبي صلَّى الله عليه وسلَّم يخُصُّ هذا الشهر بأعمال يتوجه بها لمولاه، نرجوا أن يُوفقنا الله جميعاً بالاقتداء فيها بهداه.

كان صلى الله عليه وسلَّم يُكثر من صيام هذا الشهر، فتقول السيدة عائشة ﵂: (كان صلى الله عليه وسلَّم يصوم حتى نقول لا يُفطر، وكان صلى الله عليه وسلَّم يُفطر حتى نقول لا يصوم، وما رأيته استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان، وما رأيته أكثر صياماً منه في شهر شعبان)[٢].

وكان أصحاب النبي المباركين لا يتركون مُناسبةً دون أن يستفسروا عن سببها من سيد الأولين والآخرين، ولكنهم كانوا في سؤالهم واستفسارهم مؤدبين، فتناقشوا فيما بينهم: لِمَ يُكثر ا بيب صلى الله عليه وسلَّم من الصيام في شهر شعبان؟، ثم قالوا: نرفع الأمر إليه، من الذي يعرض هذا الإسفسار عليه، قالوا: ومن يسأله إلا حِبُّه أسامة بن زيد ﵁، فذهب أُسامة إلى الرسول صلى الله عليه وسلَّم – وانظر إلى أدب المؤمنين الصادقين في السؤال، كلماتٌ قليلةٌ تُعبِّر عما يجول في الخاطر والبال – قال: يا رسول الله، لم نرك تصوم في شهرٍ من الشهور ما تصوم في شهر شعبان، وسكت، حتى لم يقُل: ولِمَ؟، فقال صلى الله عليه وسلَّم مبيناً ا كمة في ذلك: (ذاك شهرٌ يغُفل عنه الناس بين رجب ورمضان، وهو شهرٌ تُرفع فيه الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ، وأُحب أن يُرفع عملي وأنا صائم)[٣].

وهل الأعمال لا تُرفع إلا في شهر شعبان؟!!، إن الأعمال التي نعملها يطلع

[٢] رواه الإمام مالك في الموطأ ومتفق عليه عن السيدة عائشة ﵂.
[٣] الترمذي والنسائي وأحمد في مسنده عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

عليها الله عزَّ وجلَّ في الوقت والآن، ولذلك يُذكرنا بذلك في القرآن فيقول: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) (١٠٥التوبة). كيف يرانا عزَّ وجلَّ؟ (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (١٤ مديد).

يطلع على أحوالنا في كل وقتٍ وحين، ويطلع على النوايا التي في القلوب التي تصحب الأعمال، لأنه عزَّ وجلَّ كما يعلم ما في الظاهر، يعلم ما في الضمائر ويعلم غيب السرائر، يعلم السرَّ وأخفى، لكنه رحيمٌ بخلقه، كريمٌ مع عباده، لطيفٌ بعباده المؤمنين أجمعين. عفُوٌّ يُحِبُّ العفو، توَّابٌ يُحب التوابين ويُحب المتطهرين، فيريد أن يُعطينا فرصةً لنتوب إليه ونرجع إليه، فجعل ملائكةً عن اليمين وعن الشمال يسجلون الأعمال، وجعل ميعاد تناوبهم في وقت صلاة الفجر ووقت صلاة العصر، حتى إذا جاءوا سألهم: (كيف وجدتم عبادي؟ فيقولون – كما قال سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلَّم: (أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون)[٤]، فيرفعون الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ، وتُعرض الأعمال على حضرة الله في يوم الاثنين والخميس من كل أُسبوع، ولذا كان ا ببيب صلى الله عليه وسلَّم يُديم صيام هذين اليومين الكريمين، ولما سُئل عن صوم يوم الاثنين ويوم الخميس، قال عن كلٍ منهما: (ذاك يومٌ تُعرض فيه الأعمال على الله عزَّ وجلَّ، فأُحب أن يُعرض عملي وأنا صائم)[٥].

ولما كان القرآن الكريم – كان مبتدأ نزوله في شهر رمضان، وكان الشرع الشريف بداية تنفيذه بعد نزول القرآن، كانت السنة التشريعية للمؤمنين تبدأ في شهر رمضان،

٤ روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم فيقول كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون).

٥ روى أحمد و الترمذي عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم).

وجعل الله عزَّ وجلَّ من أجل ذلك قبول الأعمال في شهر شعبان، وجعل العرض يُكرر مراتٍ وكرات حتى يجعل للعبد المؤمن سبيلاً إلى التوبة والإنابة إلى من يقول للشيء كن فيكون.

وكان صلى الله عليه وسلَّم يُكثر من القيام في هذا الشهر الكريم لله، وكان مع ذلك يُعلمنا الأدب الجمَّ فيمن يسكن معنا في بيوتنا إذا أدرنا طاعة الله، تقول السيدة عائشة ﵂: (جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلَّم في ليلتي، فنام بجواري وتدثَّر بلحافي ثم قال: (تأذنين لي أن أتعبد لربي في تلك الليلة؟، قالت: فقلت: يا رسول الله، إني أُحبُّك ولا أُحب فراقك، ولكني أوثر هواك على هوى نفسي).

الخطاب الجميل لابد أن يكون له ردٌّ جميل، فأذنت له، فقام صلى الله عليه وسلَّم – قالت فأطال الخروج فخرجتُ أبحث عنه فوجدته في البقيع بين المقابر ساجداً يقول: (اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسك، عزَّ جارك، وجلَّ سلطانك، ولا إله غيرك)[٦].

قالت: ولما أن همَّ ليختم أسرعتُ إلى حجرتي، فسلَّم وجاء وما يزال النفس يتردد في صدري، فقال: ما بك يا عائشة؟ أظننتي أن يكون برسول الله صلى الله عليه وسلَّم قد خاس بكِ؟ . أي يذهب إلى إحدى الزوجات الأُخريات؟، أتعلمين أي ليلة هذه الليلة يا عائشة؟، هذه ليلة النصف من شهر شعبان، وإن الله تبارك وتعالى يتجلَّى

[٦] روى مسلم عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: {فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ)}.

لعباده في هذه الليلة فيغفر لجميع خلقه، إلا لمشركٍ أو مشاحن)[٧]. والمشاحن هو الذي في قلبه نحو أخٍ من إخوانه المؤمنين شحناء؛ بُغض، أو حقد، أو كُره، أو حسد، أو ما شابه ذلك، لأن شروط الإيمان كما قال فيها الرحمن: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) (١٤٧ حجر).

وكان صلى الله عليه وسلَّم يُكثر في هذا الشهر المبارك من الدعاء لله، ليُعلمنا أن هذا شهرٌ لقبول الدعاء وتحقيق الرجاء. وقد استجاب الله عزَّ وجلَّ له في كل ما دعاه، ومن جملة ذلك:

أن الله استجاب له في مكة حين دعاه أهلها ليشقَّ القمر، فدعا الله فانشقَّ له القمر بإذن الله. وكان يدعو عندما هاجر إلى المدينة أن يوجهه الله إلى بيت الله ا رام – وكان يتجّه قبلها إلى بيت المقدس – فأجاب الله دعاه وأمره في ليلة النصف من شعبان أو يومها أن يولّي وجهه شطر المسجد ا رام. واستجاب الله عزَّ وجلَّ له في أمر الشفاعة في أمته وبشَّر أمته بأن الله قد قبل شفاعته فيهم، وأنه سيشفع فينا جماعة المسلمين أجمعين يوم يجمع الله الناس ليوم لا ريب فيه.

وكان صلى الله عليه وسلَّم يهتم في أيام هذا الشهر الكريم – لأن هذا الشهر نزل من الله الأمر بصيام شهر رمضان – بتعليم المسلمين أحكام الصيام وشروط الصيام الصحيحة ومبطلات الصيام، حتى إذا دخل المسلم على عبادة الصيام في شهر رمضان كان يعبد الله عزَّ وجلَّ على علم، لا ينتظر المؤمن حتى يأتي رمضان ثم يقول أتعلَّم، فإن المؤمن علَّمه النبيُّ أن يتعلم أولاً ثم يعمل بعد أن علم، وقال في ذلك: (من عمل بما

[٧] روى البيهقي في الشعب، والطبراني عن معاذ بن جبل ﷺ، عن النبي ﷺ قال: (يطلع الله على خلقه في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن). وروى ابن ماجة عن أبي موسى ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ).

يعلم ورَّثه الله عز وجل ما لم يكن يعلم)[٨].

ونكتفي بهذا القدر عن ا ضرة النبوية حتى لا نطيل عليكم، قال صلى الله عليه وسلَّم: (التائب حبيب الرحمن، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له)، ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

ا مد لله ربِّ العالمين، الذي أنعم علينا بهداه، ووفقنا بأن نكون من عباده الذاكرين الشاكرين الموفقين لطاعته في هذا الوقت وا ين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يُحبُّ عباده التوَّابين ويُحبُّ المتطهرين. وأشهد أن سيدنا محمَّداً عبدُ الله ورسولُه، الصادق الوعد الأمين. اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمَّد وفقهنا في الدين، وعلمنا صحيح الدِّين، وأعنا على العمل بما تعلمنا يا أكرم الأكرمين.

أيها الأحبة جماعة المؤمنين:

تعالوا بنا نستعرض بعض هدي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلَّم في شهر شعبان، فقد كانوا رضوان الله تبارك وتعالى عليهم لهم هديٌ كريمٌ في هذا الشهر الكريم، يعبِّر عنه سيدنا أنس بن مالك ﷺ فيقول: (كنا إذا هلَّ علينا هلال شهر شعبان، نظر الولاة إلى مَنْ بالسجن؛ فمن كان عليه حدٌّ أقاموه وإلا خلُّوا عنه، ونظر تجار المسلمين إلى حاجات المسلمين في شعبان ورمضان فجاءوا بها، ليتفرَّغ المسلمون لطاعة الله في شهر رمضان. ونظر أهل الأموال إلى أموالهم وأخرجوا زكاة أموالهم ليتقوَّى بها الفقراء والمساكين على صيام شهر رمضان)[٩].

[٨] تفسير القرآن العظيم عند قول تعالى: (علَّمَ الإنسانَ ما لمْ يعلم).

[٩] كتاب الغنية عن أنس ﷺ: ((كان أصحاب النبي ﷺ إذا نظروا إلى هلال شعبان أكبوا على المصاحف يقرؤونها ، وأخرج الأغنياء زكاة أموالهم ليتقوى بها الضعيف والمسكين على صيام رمضان ، ودعى الولاة أهل السجن فمن كان

فإن الزكاة الإسلامية فُرضت في هذا الشهر الكريم – مع الصيام – في العام الثاني من الهجرة، والمؤمن يجعل له عاماً هجرياً يحسب عليه زكاته، ولا يجوز أن يجعل له عاماً ميلادياً، لأن العام الهجري ينقص عن العام الميلادي، ينقص إحدى عشر يوماً عن العام الميلادي، فإذا حسب على ا ساب الميلادي فسينكسر ا ساب بعد أيام أو بعد سنين عدة، ويكون عليه دينٌ لله عزَّ وجلَّ سنةً أو أكثر لم يؤدِّ عنها زكاة.

فكانوا يجعلون لأنفسهم شهراً هجرياً يُؤدون فيه الزكاة ويُخرجونها للفقراء والمساكين، وكان أغلبهم يستحسن أن يكون هذا الشهر شهر شعبان، لأن معظم المؤمنين يعملون باليومية والأجر ويقول: حتى أُغني إخواني المسلمين من الفقراء عن العمل الشاق في يوم رمضان وفي شهر رمضان، وخاصة في مثل أيامنا هذه أيام ا ر الشديد.

وكانوا بعد ذلك يتمرنون على تلاوة القرآن وتجويد المخارج وحُسن التلاوة، ويتمرنون على أحكام الصيام، فإذا دخل المسلم على شهر رمضان عمل كما يقول العلم ا ديث في الرياضة البدنية . يُسخَّن نفسه بالصيام لصيام شهر رمضان، وأعدَّ نفسه بالتلاوة للتفرغ لتلاوة القرآن في شهر رمضان، وفرَّغ نفسه من الديون التي لله – وهي الزكاة – وأغنى بها إخوانه الفقراء والمساكين ليستعينوا بها على طاعة الله في رمضان، ودرس الأحكام مع العلماء الأجلاء حتى يكون شهر رمضان شهر عبادةٍ خاصَّة لله.

وإذا كان أكابر العلماء إذا دخل رمضان تفرغَّوا للصيام وطاعة الله ولم يُؤدوا دروساً للعلم بالمرة – كان الإمام الشافعي له كل يومٍ طوال العام دروساً للعلم تمتد من

عليه حد أقاموه عليه وإلا فخلوا سبيله، وانطلق التجار فقضوا ما عليهم وقضوا ما لهم، حتى إذا نظروا هلال رمضان اغتسلوا واعتكفوا)).

صلاة الفجر إلى صلاة الظهر؛ يُدرِّس فيها لقومٍ تلاوة القرآن وتجويده، ويدرِّس لقومٍ بعدهم ساعة في الفقه، ولقومٍ بعدهم ساعة في التفسير، ولقومٍ بعدهم ساعةً في ا لحديث، ويظل إلى صلاة الظهر، فإذا جاء شهر رمضان فضَّ مجلس العلم وتفرَّغ لتلاوة القرآن وطاعة الرحمن عزَّ وجلَّ، حتى رُوي أنه ﷺ كان يقرأ القرآن في شهر رمضان ويختمة ستين ختمة، ثلاثين ختة بالنهار وثلاثين ختمة بالليل، وهذا توفيق من الله عزَّ وجلَّ.

وكذلك الإمام مالك بن أنس ﷺ – كان يُدرِّس ا لحديث والفقه في المسجد النبوي الشريف، فإذا جاء شهر رمضان صرف طُلاَّب العلم وتفرَّغ هو وهم للعمل بما تعلموه من العلم، من الصيام والقيام وتلاوة القرآن وذكر الرحمن عزَّ وجلَّ.

نسأل الله عز وجل أن يُفقهنا في ديننا، وأن يُلهمنا رُشدنا، وأن يُرينا ا لحقَّ حقًّا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل زاهقاً وهالكاً ويرزقنا إجتنابه.

اللهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، ووفقنا للعمل بما علمنا، واجعلنا من عبادك الراشدين.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا، وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميعٌ قريبٌ مجيب الدعوات، يا أرحم الراحمين.

اللهم رخِّص أقواتنا في بلادنا، وأملأ بالخير بيوتنا وأسواقنا، واجعلنا في غنىً بك يا أكرم الأكرمين عن جميع أصدقائنا وأعدائنا، حتى لا تمتد اليد إلى سواك، ولا تحتاج إلى أحدٍ عداك.

اللهم أهلك الكافرين بالكافرين، وأوقع الظالمين في الظالمين، وأخرج المسلمين من بينهم سالمين غانمين، واجعل بلاد الإسلام بلاد الأمن والسلام يا أكرم الأكرمين.

عباد الله: اتقوا الله، (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالاحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (١٩٠النحل).

اذكروا الله يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، وأقم الصلاة.

****